

المنظومة
ALMANDUMAH


المنظومة
ALMANDUMAH

نتائج الدراسة

يحاول الباحث في هذه الدراسة أن يلقي الضوء على كثير من التساؤلات التي طرحت حول موقف الدولة العباسية من الدويلات التي استقلت عنها في المغرب الإسلامي، وذلك خلال القرنين الثاني والرابع الهجريين (الثامن والعاشر الميلاديين).

هذا الأمر الذي جعل المؤرخين يطرحون التساؤلات والإجابات معاً، بحيث لم تخل هذه التساؤلات والإجابات من الخطأ والغلط وتضارب الأقوال، وذلك يعود لإختلاف الروايات والرغبات في تناول هذا الموقف للدولة العباسية من تلك الدويلات.

وجاءت هذه الدراسة لتعرض الروايات التي تبين حقيقة ذلك الموقف، للتدقيق، والتمحيص والتحليل والمقارنة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

ومن أجل وضوح صورة ذلك الموقف كان لا بد لهذه الدراسة من عرض تركيبة وفئات السكان في بلاد المغرب قبل فتح العرب المسلمين لها، بل قبل نشوء تلك الدول المستقلة في عهد الدولة العباسية.

ولقد تبين من خلال البحث والدارسة أن غالبية سكان المغرب كانوا من العنصر البربري، الذي له خصائصه ومزاياه.

وتناولت الدراسة بعد ذلك عملية الفتح العربي الإسلامي لمنطقة المغرب، والتي تميزت بالجهاد الصادق، والعمل الشاق في محاولة دمج وصهر البربر في بوتقة الإسلام، ثم دمجهم في تلك الدول المستقلة بحيث وجدنا أن البربر كانوا دائماً مشاركين، ويتبنون مذهب الدويلات التي تتمكن من بسط سيطرتها الجغرافية والسكانية والزمانية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدول المستقلة قد لعبت دوراً كبيراً في زيادة الطباع والتأثيرات العربية في المغرب، إذ تميزت تلك الدويلات بعروبتها الشرقية، التي كانت لها لغتها وتقاليدها وعاداتها وقيمها المميزة لها (الدولة الرستمية أصولها فارسية).

هذا التأثير العربي في المغرب تناوله ابن خلدون في مقدمته المشهورة، إذ قال: (انقلبت أحوال المغرب في المائة الثانية، وتبدلت بالجملة، واعتاضت من أجيال البربر أهله على القدم بما طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم، وانتزعوا منهم عامة الأوطان، وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم).

زد على ذلك أن هذه الدول المستقلة التي استقلت عن دولة الخلافة العباسية ساهمت في نشر الديانة الإسلامية، بداية على يد الأدارسة في المغرب، ثم على يد الفاطميين ثانية، وقام الأدارسة بنشر الإسلام على منهج كتاب الله وسنة رسوله، إذ كانوا من أهل الصلاح والتقوى لأنهم من سلالة النبي الكريم (ص). قال صاحب كتاب (الدرر السنية) السنوسي: (لما دخل

إدريس الأكبر المغرب الأقصى وجد أهله ثلاث فرق يهود، ونصارى، ومجوس، ودعاهم إلى دين الله وعبادته وسنته، وسنة رسوله (ص) فأجابوه لذلك، واتبعوه خفافاً وثقالاً).

أما الفاطميون فقد ساهموا في نشر الإسلام، ولكن تبعاً للمبادئ الشيعية الإسماعيلية في الإمام المعصوم والإمام المنتظر.

وساهمت دولة الأغالبة السنية والتي اتفقت مع الدولة العباسية من حيث المذهب السني، بالإضافة إلى دفاعها عن (مبادئ ورغبات الدولة العباسية) في المغرب، وافقت الدولة العباسية على كوارث الأغالبة، للحكم من باب اتفاق المصالح المشتركة بين الطرفين، إذ وقفت دولة الأغالبة ضد خصوم الدولة العباسية في المغرب.

تميزت هذه الدول المستقلة عن جسم الخلافة العباسية بالاستقلال التام، إذ كانت لا تعترف بسلطة الدولة العباسية، فالدولة الرستمية كانت قد قامت على يد البربر الذي كانوا يناهضون الخلافة الإسلامية منذ الفتح العربي الإسلامي الأول.

ودولة الأدارسة بدأت بالاستقلال عن الدولة العباسية، وأصبحت لا تعترف بالخلافة العباسية لاعتقادها أن هذه الخلافة قامت على اغتصاب السلطة من أصحابها الشرعيين، الذين يتمثلون في نسل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ولما عجز الأدارسة عن أخذ السلطة في المشرق تمكنوا من تحقيق ذلك في المغرب الأقصى البعيد عن الخلافة العباسية.

ولم تكن الدولة الفاطمية أقل شأناً من غيرها من الدول المستقلة، بل كانوا أكثر تحدياً، إذ لم يعترفوا بشرعية الخليفة العباسية، وأصبحوا يطلقون على أنفسهم (خلفاء) أو أمراء للمؤمنين.

وأما دولة الأغالبة في افريقية فقد تمتعت بالاستقلال ووراثة الحكم بين أبناء هذه الأسرة، إلا أنها كانت حليفاً قوياً للدولة العباسية، ووقفت إلى جانبها ضد أعداء الخلافة.

وكان ولاء الأغالبة للعباسيين واضحاً تمثل في الخطبة للخلفاء على المنابر، ونقش اسم الخليفة على النقود، وإرسال الأموال (الخراجية) والهدايا إلى عاصمة الخلافة.

واختلفت الدول المستقلة في المغرب من حيث مدة حكم كل دولة عن الأخرى، لكنها بصورة عامة كانت معاصرة لبعضها البعض بعضاً فالدولة الرستمية في (تاهرت) استمرحكمها ما يقارب مائة وستين سنة وبالتحديد من سنة 137-297هـ/754-909م، وقد تم القضاء عليها على يد الفاطميين، وذلك عندما سار أبو عبدالله الشيعي إلى مدينة سجلماسة لمحاربة (اليسع) أمير آل مدرار، وتخليص محمد المهدي وابنه من السجن، ومرَّ أثناء سيره على تاهرت عاصمة الرستميين فدخلها بالأمان، وقتل من بها من الرستمية بينهم: يقظان بن أبي يقظان، ومن معه من أهل بيته، وبعث برؤوسهم إلى القيروان ونصبت على باب مدينة رقادة، وبذلك تكون دولة الرستميين قد انتهت في تاهرت من أرض المغرب.

وكذلك الحال كان مع دولة الأغالبة المستقلة، التي كانت حليفة لبغداد مركز الخلافة، فقد استطاع الفاطميون على يد القائد أبي عبدالله الشيعي من هزيمة جيش (زيادة الله) آخر أمراء الأغالبة سنة 296هـ، ويدخل مدينة رقادة عاصمة الأغالبة وبذلك تكون هذه الدولة قد انتهت بعد حكم استمر مائة واثنتي عشرعاماً من 184-286هـ/800-909م.

أما دولة الأدارسة في المغرب الأقصى فلم تنج من خطر الفاطميين، فبعد أن حكمت هذه الدولة المستقلة مدة مائة وأربعين عاماً من (172-313هـ) سقطت على يد جيش المهدي الفاطمي، والذي كان بقيادة مصالة بين حبوس، إذ التقى مع آخر أمراء الأدارسة يحيى الإدريسي بالقرب من مكناسة، فحلت الهزيمة بيحيى واحتل الفاطميون بلاد الأدارسة، وصار المغرب ملكاً للفاطميين، بحيث أصبحت دولة الأدارسة من دولتهم.

وبعد أن سيطر الفاطميون على المغرب توجهوا نحو مصر، إذ دخلوها وأصبحت تابعة للدولة الفاطمية، وقبل مغادرة المغرب جعل الفاطميون عليها من بربر صنهاجة يديرونها نيابة عنهم، ولكن الأمر قد تغير بعد ذلك إذ انشق هؤلاء البربر علن سلطة الفاطميين، وخلعوا الطاعة لهم، وبلغوا درجة الملوك، واستطاع بلكين بن زيري شيخ صنهاجة أن يتخلص من سيطرة الفاطميين، ويعلن تأسيس الدولة الزيرية في سنة 363هـ.

وأما الدولة الفاطمية في مصر فقد جعلت من القاهرة مركزاً لها فاستمرت في الحكم حتى جاء السلطان صلاح الدين الأيوبي وقضى عليها.

وعند دراسة قيام هذه الدول المستقلة يلاحظ الباحث أن البربر سكان المغرب القدماء كانوا قد لعبوا دوراً كبيراً في نشوء هذه الدول، والمساهمة في استقلالها عن جسم الخلافة العباسية.

ويمكن القول إن بعض هذه التحركات التي مهدت لنشوء الدويلات المستقلة ما كان لها أن تقوم وتشتهر إلا بمساعدة البربر، بل يمكن القول إن بعضها قد نشأ من أجل القضاء على حركات البربر أنفسهم.

ودولة بنو صالح في دكور والبرغواطيين والمدراريين كانت قد تأسست في ظل وجود دولة عباسية شرعية.

والدولة الرستمية في تاهرت وإن كانت في أصولها فارسية (عبد الرحمن بن رستم من فارس) بحيث تمكنت من قيام دولة خارجة عن سلطة الخليفة العباسي فقد ساندها جموع كبيرة من قبائل البربر (نفوسة، وهوارة، ولمايه، وزناتة، ولواته) واعتنقت أيضاً مبادئ الدولة الرستمية التي تقوم على الفكر الأباضي الخارجي.

أما دولة الأدارسة الاستقلالية فقد نشأت على يد بربر المغرب الأقصى، وكان إدريس قد لجأ إلى المغرب، وأجاره اسحق بن محمد صاحب مدينة وليلى أو (بوليلي) وجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية، وزاد إدريس تقرباً من البربر حيث صاهرهم وتزوج من كنزة (كنيزة) ابنة الحق بن محمد صاحب وليى، وكان ولده وخلفه إدريس من هذه المرأة.

حيث نجد أن دولة الأغالبة على العكس تماماً، إذ قامت بصورة خاصة ضد البربر، وشيدت للقضاء على حركاتهم، وكانت نتيجة لسياسة ورغبة الخليفة هارون الرشيد في تأديب البربر وغيرهم من الثوار، والخوراج على سلطة الخلافة العباسية.

وقد قامت العديد من حركات تمرد البربر على دولة الأغالبة، بل نجد أن جد الأغالبة قد قتل على يد هؤلاء البربر، وثار على مؤسس هذه الدولة (إبراهيم بن الأغلب) حمديس البربري وجماعته، إذ قضى عليهم إبراهيم.

ودولة الفاطميين أيضاً نشأت بمساعدة البربر، وفي هذا الصدد يبرر ابن خلدون استعانة الأدارسة والفاطميين بالبربر، إذ قال: (هذا ما وقع للأدارسة في المغرب الأقصى والعبيديين بافريقية، ومصر لما انتبذ الطالبيون في المشرق إلى القاصية وابتعدوا عن مصر الخلافة وسعوا إلى طلبها من أيدي بني العباس بعد أن استحكم البيعة لبني أمية، ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقصبة من المغرب ودعوا لأنفسهم، وقام بأمرهم البربر بعد أخرى فأوربة وفعيله، للأدارسة وكتامه، وصنهاجة، وهوارة للعبيديين فشيدوا دولهم، ومهدوا بعصابتهم أمرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية.

ومن خلال الكلام السابق نرى أن دولة الأدارسة وكذلك دولة الفاطميين قد قامتا على أكتاف البربر وتوطدت بمساعدتهم ومعاضدتهم، وسمت وعلت لما حصلت على مؤازرتهم.

ولا بد من الإشارة إلى أن موقف الدولة العباسية من هذه الدويلات قام على سياسة المقاومة بالسلاح ومحاربة هؤلاء الخصوم، وكذلك سياسة اللسان والبيان في محاولة إبطال الحجج والمبادئ التي قامت عليها تلك الدويلات ولهذا سخرت الدولة العباسية الدعاة والعلماء وغيرهم في سبيل تحقيق غاياتهم وهي هزيمة تلك الدول.

وخلاصة البحث تتمثل في أن نشوء هذه الدول المستقلة في المغرب قد أثر تأثيراً كبيراً في الدولة العباسية، ذلك لأن هذه الدويلات قد نتج عنها دول مستقلة، استقلت عن جسد الخلافة العباسية، وأقامت دولاً لها في الأطراف البعيدة من الدولة العباسية، والتي كانت في أولى مراحلها، وأوج عظمتها، ومع ذلك لم تستطع القضاء على هذه الدول، وإيقاف نموها، والدليل على ذلك استمرار دولة الفاطميين في مصر حتى سنة 567هـ.